هذيان على جمر العودة

خليل أبو سلمى ❖

- يا أمُّ:
آنَ أنَ يترجّلَ الدمعُ المكابرُ سُفُوحَ عينيك،
ويرتجلَ المساءُ.
في ظلِّ عينيك.
صلواته الثكلى،
ليغفرَ هذا الليلُ
ما اقترفَ الضياءُ من الوضوح.
أن نعتلي قمرَ الشرود،
نلملمَ الوطنَ المبعثَرَ
بينَ ذاكرةٍ وحُلْم.

. يا نائمين على الجراح
وحالمين على الطوى
ومعلَّقين على سياجِ ذهولكمْ في آخرِ الليلِ المُباح:
لن تُبْدِعُوا من لحمِ موتاكم أغانيكم،
لن تبحثوا عن صوتِكم في شفاهِ العابرين،
لن تشربوا من خمرِنا،
لن تسكروا من خمرِكم،
لن تعرفونا،
لن تحصدوا غيرَ الغبارْ.
. يا سادتي:
كم كان لنا
كم كان لكم
أن نشتمَ النزقَ المُعَتَّقَ في لياليِنا القفارْ،
أن نحترقْ لتوَهُّجِ الذكرى،
أن نرتعشْ على قشرِ الأماني
ونرتجلَ الطفاةْ،
أن ننسجَ الفرحَ الهزيلَ من زبدِ البحارْ،
وأن نَضُمَّ إلى القلبِ البلادَ..
نحنو عليها..
كالثكالى...بلادي بلادي بلادي
فيخنقنا البكاءْ.
كم كان لنا
أن نصفعَ الرسلَ المُعَلَّقين على وصاياهم،
أن نرتدي قمرَ التسكعِ في المدنِ الحبيسةِ..
في ثغرِ انفجارْ.
يا سادتي
أشهدُ أنّ القهرَ يغتالُ الأماني،
وهذا القلبَ
سيَصْلِبُهُ الصقيع.
. أمشي بلا جسدٍ
إلى جسدٍ بلا ظلٍّ..
بلا ملامحْ.
أُطعمُ للمدى وجهي
أبحثُ عن جسدٍ كي أرتديه وأستريحْ.
أغفو على تعبٍ،
فيوقظُني شوكُ الطموحِ في خصرِ الرصيفِ،
خنجرًا يَهْذِيْ على صدري
ويبتلعُ المساءْ.
أقايضُ الأيامَ بارتشافِ النورِ
من خدِّ النهارْ،
وبكائيَ المرَّ بابتساماتِ الذئابِ.
أطعمُ عصافيرَ التشهِّي من لحمِ أحلامي،
وحسرتي تَحْسُو في مُقْلَتَيْ جمرَ انكساري.
تزرعُنِيْ شفاهُ العابرين في تفاصيلِ المرارةِ
ذاكرةً خصيبةً،
وتُنْجِبُنِي صحراءُ ذاكرتي حقلاً من الرعبِ المُسَيَّجِ بالجنونِ،
ويخلعُنِي المساءُ سنبلةً كئيبةً

❖ شاعرفلسطينيّ.

تتسلقُ آخرَ الليل ضوضاءَ أغنيةٍ مُعَفَّرَةٍ...
تغتالُ أوتاري.
يغتالُني جسديْ...أُراقِصُهُ.
فأشتهي جسدي.
جسدي حصادُ الريح في سنةٍ عجفاءَ
تنهشُ من دمي شَكْلَ الفصولْ.
روحي حصانُ العائدينَ من وجعِ الطريقِ،
غبارُ النازحينَ في تعبِ الحقولْ.
ودمي يُؤَرِّخُني قمرًا على جسدِ الفضيحةِ
يَسْتَافُ دمعَ النادبينَ في قتلي،
يُزَمِّلُهُمْ بعارِ،
يقتفي أثرَ السنابلِ في ليلِ الثكالى،
في عيونٍ تحرسُ الليلَ المُعَتَّكِبَ،
في سفوحٍ أدمنتْ لغةَ الضواري وتقترفُ التكاثرَ،
في حلمِ المسيحِ،
في مشهدٍ يجترُّ ذاكرتي،
ويبذُرُني على الصُّلْبَانِ أفراسًا ممزَّقةَ الصهيلْ.
أضْجَرُ من دمي
يمتصُّني وجعُ البنفسجِ
ويعصِرُني ظمأً على الجدرانِ.
ظَمَئِي يُشَقِّقُ قامتي
وتشربُني البلادُ.

أواهُ يا ظَمَئِيْ...
يا خبزَ أيامي
يا ضالعًا حتى الخطيئةِ في دمي،
يا واحةَ قهرٍ تتسلقُ أرضابَ فمِي،
تُخصبُ في هدأةِ ذاكرتي أشباحَ الظلمة،
وتعشِّشُ في أنداءِ يدي.
أواه يا وجعَ البنفسجِ
عبثًا تموءُ...
تتضوّرُ قهرًا،
تحتضنُ بقايا جسدي،
تَنْفُضُ عني عواءَ الصقيعِ
لتكبرَ فيَّ البلادُ
فتذوي على جذعِ حلمي.
أواه...يا وجعَ البنفسجِ
مزَّقَني حبُّ بلادي،
لكنَّك لا تفهمني،
لن يفهمَنِيْ غيرُ بلادٍ تكبرُ في أوردةِ الجوعى
تنسجُ في الليلِ خيوطَ الصبرِ
تُغْتَصَبُ مساءً بعد مساء
وتنجبُ صبحًا أقبية القهرِ
وأحذيةَ العسكرْ!!

دمشق